زواج عبدالله من آمنة

أ.د. نضال مؤيد مال الله

تاريخ السيرة النبوية

المرحلة الأولى ٢٠٢٤ – ٢٠٢٥

ومن الثابت تاريخياً أن عبدالله بن عبدالمطلب تزوج آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وبنو زهرة عشـيرة من قريش، وكان عبدالمطلب قد تزوج هالة بنت وهيب، ووهيب عم آمنة وقد تربت في بيته، وتفاصيل الزواج لم ترد من طريق صحيحة اذ مدارها على هشام الكلبي وعبدالعزيز بن عمران والواقدي، وكلهم متروك عند المحدثين. ولكن موضـــوع الزواج والعلاقات النسبية مستفيض لا يحتاج الى سند موثق.

وقد نسـج بعض الكاذبين حكاية حول عبدالله ارادوا بها المبالغة بإضـفاء طابع اسـطوري على المولد النبوي، فادعوا أن بغياً – ومرةً امرأة مسـتبضـعة، وثالثة: كاهنة، ورابعة: زوجة ثانية لعبدالله – دع عبدالله الى نفســها وقد رأت في عينيه نوراً، ففارقها الى آمنة زوجه، ثم عاد اليها فامتنعت منه بحجة أن النور قد اختفى بعد لقائه آمنة!.

وهذه الرواية منكرة ســـنداً ومتناً، ومن يقرأ الروايات المختلفة عنها يدرك مدى الاختلاف والاضـطراب في سـوقها سـواء في تعيين المرأة، اذ مرة في خثعمية واخرى اسـدية قرشـية اسـمها قتيلة، وثالثة عدوية اســمها ليلى، وكذلك في صـــفة عبدالله عندما التقته فمرة هو مطين الثياب واخرى هو في زينته!! ومثل هذا الاختلاق ينبغي ان يطرح من دراسات السيرة الجادة.

وفاة عبدالله

أ.د. نضال مؤيد مال الله

تاريخ السيرة النبوية

المرحلة الأولى ٢٠٢٤ – ٢٠٢٥

ولم ير الرسول (ﷺ) اباه، فقد مات في المدينة عند اخواله بني عدي بن النجار، وكان في مهمة تجارية فمرض عند العودة ومات فدفن هناك. ولم ترد رواية صـــحيحة في حادثة وفاته، اذ كل ما ورد عنها ضعيف ضعفاً شديداً او مرسل ضعيف وأقوى ما ورد قول الزهري مرسلاً "بعث عبدالمطلب عبدالله بن عبدالمطلب يمتار له تمراً من يثرب، فتوفي عبدالله بها، وولدت آمنة رسول الله (ﷺ) فكان في حجر عبدالمطلب".

ويتفق مع قول الزهري حديث يرويه قيس بن مخرمة وهو صحابي ذكر ولادة الرسول (ﷺ) فقال: "توفي أبوه وأمه حبلى به".

وهذا هو المشهور الذي رجحه ابن اسحاق والواقدي وابن سعد.

وخالفهم الكلبي وعوانه بن الحكم فزعما أن عبدالله لما توفي كان عمر النبي (ﷺ) ثمانية وعشرين شهراً ويقال سبعة اشهر وانفرد الواقدي بتحديد سن عبدالله حين وفاته وأنه في الخامسة والعشرين من عمره.

والمعروف المشـــهور أن النبي (ﷺ) ولد يتيم الأب. قال ابن كثير: "وهذا أبلغ اليتم وأعلى مراتبه".

وقد صـــحت الرواية في ذلك، واليه ذهب الواقدي وابن ســعد و وافقهما ابن كثير وآخرون، لكن السهيلي قال: "وأكثر العلماء على أنه كان في المهد".

وما دامت الرواية الصـــحيحة قد اثبتت مولده (ﷺ) يتيماً، فلا مندوحة عن الأخذ بها وإن خالفها الاكثرون.

وقد ذكر يتمه في القرآن: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾.

مولده صلى الله عليه وسلم عام الفيل

أ.د. نضال مؤيد مال الله

تاريخ السيرة النبوية

المرحلة الأولى ٢٠٢٤ – ٢٠٢٥

وقد صـح أن مولد النبي (ﷺ) كان في يوم الاثنين وتفيد اقوى الروايات التي وصـلت الينا أن مولده كان عامل الفيل.

وقد ذكر خليفة أنه "المجتمع عليه". فكأنه لا يعتد بمن خالف، والحق أن الروايات المخالفة كلها معلولة الاسانيد وهي تفيد ان مولده بعد الفيل بعشر سنوات او ثلاث وعشرين سنة او اربعين سـنة وقد ذهب معظم العلماء الى القول بمولده عام الفيل، وايدتهم الدراسـات الحديثة التي قام بها باحثون مسلمون ومستشرقون اعتبروا عام الفيل موافقاً للعام ٥٧٠ او ٥٧١ الميلادي.

إن حادثة الفيل ثابتة الوقوع بنص القرآن ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾. فنص القرآن يقدم أدق تصـوير لما حدث لجيش أبرهة، ولا تكاد الروايات التاريخية تخرج عن الوصـف القرآني الا في تحديد جزئيات وتفصـيلات يسـيرة، وهي روايات تقف عند ابن عباس وعبيد بن عمير من الصـحابة، او عند قتادة (ت ١١٧ هـ) او ابن اسـحاق (ت ١٥١هـ) ولا شـك أن بينهم وبين الاحداث نصف قرن على الأقل بالنسبة للصحابة الصغار، ولعلهم استقوا المعلومات عمن بقوا احياء ممن شـاهد الحادث، حيث تأخرت وفيات بعضـهم، فقد رأت عائشـة (رضـي الله عنها) قائد الفيل وسائسه أعميين يستطعمان الناس بمكة كما بين الصحابي قباث بن اشيم ان امه اوقفته على بقايا روث فيل أبرهة وقد تغير لونها، وكان يعقل حيث ولد قبل الفيل بسنوات يسيرة.

إن القرائن التاريخية المحتفة بالروايات التي تفيد مولد النبي (ﷺ) عام الفيل قوية، ويرى ابن القيم ويتابعه القسـطلاني ان مولد النبي كان في عام الفيل بعد حادثة الفيل، لأن قصـة الفيل توطئة وارهاص لظهوره، حيث دفع الله نصـارى الحبشـة عن الكعبة دون حول من العرب المشركين تعظيماً لبيته.

وقد اختلف المؤرخون في تاريخ يوم مولده وشـهره فذهب ابن اسـحاق الى أنه ولد لاثنتي عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأول. وذهب الواقدي الى أنه ولد لعشر ليال من شهر ربيع الأول وذهب ابو معشـر السـندي الى أنه ولد لليلتين خلتا من شـهر ربيع الأول. وابن اسـحق اوثق الثلاثة.

صفة حمل آمنة به

أ.د. نضال مؤيد مال الله

تاريخ السيرة النبوية

المرحلة الأولى ٢٠٢٤ – ٢٠٢٥

لقد رويت قصص واخبار حول صفة حمل آمنة به، وأنها لم تر أخف ولا أيسر منه، وأنها كانت تلبس التعاويذ من حديد فيتقطع، وأنها رأت في منامها بشارة بجليل مقامه، وأمرت بتسميته بمحمد، ورأت عند استيقاظها صحيفة من ذهب فيها أشعار لتدعو له بها، ولم يثبت شيء من هذه الحكايات.

كما وردت اخبار ضعيفة تفيد أنه "وقع حين ولدته وقوعاً ما يقعه المولود معتمداً على يديه، رافعاً رأسه الى السماء "وأنه وضع تحت قدر من حجر، فانفلقت عنه ليبقى بصره شاخصاً الى السماء، وأنه ولد مختوناً، او ختنه جبريل عليه السلام، او ختنه عبدالمطلب يوم سابعه وجعل له مأدبة وسماه محمداً، ورغم ما في اسناد الرواية الأخيرة من ضعف شديد فقد قال الحافظ الذهبي "أنه اصح من حديث العباس أنه ولد مختوناً". فسرور عبدالمطلب بالمولود وقيامه نحو اليتيم بالواجب من ختان ووليمة على عادة قومه لا يحتاج الى أدلة. وقد وردت في ذلك روايات واهية.

وكذلك وردت روايات موضوعة حول هواتف الجان في ليلة مولده وتبشيرها به وانتكاس بعض الاصنام في المعابد الوثنية بمكنة. وحول ارتجاس ايوان كسرى وسقوط شرفاته وخمود نيران المجوس وغيض بحيرة ساوة ورؤيا الموبذان الخيل العربية تقطع دجلة وتنتشر في بلاد الفرس.

كذلك وردت روايات ضعيفة عن اخبار يهود بليلة مولده. واخبار الراهب عيصا بمر الظهران بمولده. وقول العباس عمه أنه رآه في المهد يناغي القمر.

ولكن ثمة أخباراً تقوى ببعضها الى الحسن احتفت بمولود منها ما يفيد أن آمنة رأت حين وضعته نوراً خرج منها اضاءت منه قصور بصرى من أرض الشام.

مرضعاته

أ.د. نضال مؤيد مال الله

تاريخ السيرة النبوية

المرحلة الأولى ٢٠٢٤ – ٢٠٢٥

لقد صح أن ثويبة – مولاة أبي لهب – ارضعته. وثبت أن عمه حمزة بن عبدالمطلب أخوه من الرضاعة. وأما خبر ارضاع حليمة السعدية له في ديار بني سعد، وما ظهر عليه من البركة فهو خبر مستفيض في كتب السيرة قديمها وحديثها، واقدم من اروده من كتاب السيرة ابن اسحق (ت ١٥١ هـ).

واذا كان خبر حليمة الطويل المشـــتهر حول رضـــاعه لم يحظ بتصـــحيح المحدثين لعلل اسنادية، فأن رضاعة (ﷺ) في بني سعد من قبل حليمة السعدية ثابت من طرق أخرى.

معجزة شق الصدر

أ.د. نضال مؤيد مال الله

تاريخ السيرة النبوية

المرحلة الأولى ٢٠٢٤ – ٢٠٢٥

وقعت احداث شق صدر النبي (ﷺ) وغسله لأمه، مرتين، الأولى عندما كان طفلاً في الرابعة من عمره، يلعب في بادية بني سعد، وقد روى الامام مسلم في صحيحه حادثة الشق الاولى عن أنس بن مالك "أن رسول الله (ﷺ) اتاه جبريل (ﷺ) وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقةً فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم اعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون الى أمه – يعني ظئره – فقالوا إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون.

قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره.

ولا شك ان التطهير من حظ الشيطان هو إرهاص مبكر للنبوة، واعداد للعصمة من الشر وعبادة غير الله. فلا يحل في قلبه شيء الا التوحيد، وقد دلت احداث صباه على تحقق ذلك فلم يرتكب اثماً ولم يسجد لصنم. رغم شيوع ذلك في قومه.

أما المرة الثانية التي وقع فيها شق صدره عليه الصلاة والسلام فكانت ليلة الاسراء.

لقد أدت هذه الحادثة الى اعادة الرسول الى أمه آمنة وجده عبدالمطلب، لأن حليمة خافت عليه ورغبت في إنهاء مسئوليتها عنه رغم حبها له وتعلقها به.

وحكى الواقدي عن ابي عباس أنه كان في الخامسة من عمره عندما اعادته حليمة.

وذكر غيره أنه رد الى أمه وهو ابن اربع سنين، وكان معها الى ان بلغ ست سنين. حيث توفيت امه آمنة بالابواء بين مكة والمدينة، وكانت قد قدمت به على اخواله من بني عدي بن النجار، فماتت وهي راجعة الى مكة.

ولم تثبت هذه الاخبار برواية صحيحة، ولكنها مما يتساهل فيه عادة.

وقد ترك يُتم النبي في نفسه أعمق الأثر، ففي طفولته فقد أمه وكان قد ولد يتيم الأب. وقد بين الزهري أن جده عبدالمطلب كفله ورعاه. ويذكر الواقدي ان جده حين توفي – وكان عمره اثنتين وثمانين سنة – اوصى أبا طالب – عمه – به.

وكان رسول الله في الثامنة من العمر. ولاشك أن محمداً أحس بفقدان جده لما كان يحبوه من العطف والرعاية.

وقد وردت روايات تفيد عطف ابي طالب عليه وتعلقه به، ومما يدل على شـــدة محبة ابي طالب اياه صحبته له في رحلته الى الشام. ويبدو أنه في فترة حضانة ابي طالب له ساعده محمد (ﷺ) في رعي غنمه، وقد ثبت أنه عمل على رعيها لأهل مكة مقابل قراريط، ولعل ضـــيق حال ابي طالب هو الذي دفعه الى العمل لمساعدته، ورعي الغنم فيه دربة لرسول الله (ﷺ) على رعاية البشـــر فيما بعد، فقد الف العمل والكفاح منذ طفولته، واعتاد أن يهتم بما حوله، ويبذل العون للآخرين، وربما يذكرنا رعيه للغنم بأحاديثه التي تحث على الاحسان للحيوان.

بيعة العقبة الأولى

أ.د. نضال مؤيد مال الله

تاريخ السيرة النبوية

المرحلة الأولى ٢٠٢٤ – ٢٠٢٥

وقد جرت بيعة العقبة الأولى في العام التالي على لقاء وفد الخزرج، حيث حضـــر اثنا عشـر رجلاً؛ عشـرة من الخزرج واثنان من الأوس، مما يشـير الى أن نشـاط وفد الخزرج الذين اسلموا في العام الماضـي تركز على وسطهم القبلي بالدرجة الأولى لكنهم تمكنوا بنفس الوقت من اجتذاب رجال من الأوس، وكان ذلك بداية ائتلاف القبيلتين تحت راية الاسلام.

إن مصـدر المعلومات الصـحيحة الرئيسـي عن بيعة العقبة الأولى هو عبادة بن الصـامت الخزرجي – وهو شـاهد عيان مشـارك بالبيعة – وقد جاءت روايته في الصـحيحين: وسـيرة ابن اسحاق، لكنها عند ابن اسحاق اوضح وأكمل ونصها كما يلي:

قال عبادة بن الصـامت: "كنتُ فيمن حضـر العقبة الأولى، وكنا اثنى عشـر رجلاً، فبايعنا رسـول الله (ﷺ) على بيعة النسـاء – وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب: على أن لا نشـرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل اولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين ايدينا وارجلنا ولا نعصيه في معروف، فأن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشـيتم من ذلك شـيئاً فأمركم الى الله عز وجل إن شـاء غفر وغن شاء عذب".

والمقصـــود انهم بايعوا على وفق بيعة النســـاء التي نزلت بها الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ بعد صلح الحديبية. حيث لم يرد في بيعة العقبة الأولى ذكر القتال.

ومعنى ذلك أن عبادة حدث بهذا النص بعد نزول الآية فشـــبه بيعة العقبة الأولى ببيعة النسـاء. ويلاحظ ان نص البيعة يكل معاقبة الجرائم الى الله تعالى في الآخرة لعدم تشـريع الحدود الاسلامية مما يؤكد قدم النص وأنه يخص بيعة العقبة الأولى.

ولما انجزت بيعة العقبة الأولى، وعاد الانصـار الى المدينة بعث رسول الله معهم مصـعب بن عمير، وأمره ان يقرئهم القرآن، ويعلمهم الاســـلام ويفقههم في الدين. فقام بمهمته خير قيام وانتشر على يديه الاسلام، ورجع الى مكة قبل بيعة العقبة الثانية.

بيعة العقبة الثانية

أ.د. نضال مؤيد مال الله

تاريخ السيرة النبوية

المرحلة الأولى ٢٠٢٤ – ٢٠٢٥

ولما انتشر الاسلام في المدينة، واطمأن المسلمون المهاجرون بين اخوانهم الانصار، وبقى رســـول الله (ﷺ) في مكة يلاقي عنت قريش واذاها الذي كان يشـــتد على مر الايام، قدم وفد الانصار في موسم الحج فبايعوا بيعة العقبة الثانية.

قال جابر بن عبدالله الانصـــاري: ""فقلنا: حتى متى نترك رســول الله (ﷺ) يطرد في جبال مكة ويخاف، فرحل اليه منا ســبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموســم، فواعدناه شــعب العقبة فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين حتى توافينا فقلنا: يا رسول الله نبايعك.

قال: تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وان تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابنائكم، ولكم الجنة.

قال: فقمنا اليه فبايعناه. واخذ بيده اســعد بن زرارة – وهو من اصـــغرهم – فقال: رويداً يا أهل يثر، فإنا لم نضرب اكباد الإبل الا ونحن نعلم أنه رسول الله (ﷺ)، وأن اخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وان تعضكم السيوف. فإما انتم قوم تصبرون على ذلك واجركم على الله، وأما انتم تخافون من انفسكم جبينة فبينوا ذلك فهو عذر لكم عند الله.

قالوا: أمط عنا يا اسعد، فو الله لا ندع هذه البيعة ابداً ولا نسلبها.

قال: فقمنا اليه فبايعناه، فأخذ علينا وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة.

"وقد نظر العباس في وجوه وفد الانصار ثم قال: هؤلاء قوم لا اعرفهم، هؤلاء احداث. مما يدل على غلبة الشباب على الوفد".

وهكذا بايع الانصار رسول الله (ﷺ) على الطاعة والنصرة والحرب لذلك سماها عبادة بن الصامت بيعة الحرب.

وتقدم رواية الصحابي كعب بن مالك الانصاري – وهو أحد المبايعين في العقبة الثانية – تفاصيل مهمة؛ قال: "خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا... ثم خرجنا الى الحج، وواعدنا رسول الله (ﷺ) العقبة من اوسط ايام التشريق... وكنا نكتم من معنا من المشركين امرنا... فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد

رسـول الله، نتسـلل تسـلل القطا مسـتخفين، حتى اجتمعنا في الشـعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب..، واسماء بنت عمرو... فاجتمعنا في الشـعب ننتظر رسـول الله (ﷺ) حتى جاءنا ومعه العباس بن عبدالمطلب – وهو يومئذ على دين قومه، الا أنه أحبّ أن يحضـر أمر ابن أخيه ويتوثق له – فلما جلس كان أولم متكلم العباس بن عبدالمطلب "فبين أن الرسول في منعة من قومه بني هاشم ولكنه يريد الهجرة الى المدينة، ولذلك فإن العباس يريد التأكد من حماية الانصـار له والا فليدعوه. فطلب الانصـار ان يتكلم رسـول الله فيأخذ لنفسه ولربه ما يحب من الشروط.

"فتكلم رسـول الله (ﷺ) فتلا القرآن، ودعا الى الله ورغب في الاسـلام، ثم قال: ابايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم.

فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق، لنمنعك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسـول الله، فنحن والله أهل الحرب، وأهل الحلقة، ورثناها كابراً عن كابر" فقاطعه ابو الهيثم بن التيهان متسـائلاً: "يا رسـول الله إن بيننا وبين القوم حبالاً وإنا قاطعوها (يعني اليهود) فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك، ثم اظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا؟

فتبسم رسول الله (ﷺ) ثم قال: بل الدم بالدم والهدم بالهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، واسالم من سالمتم".

ثم قال: اخرجوا اليَّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم. فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس".

وقد طلب الرسـول (ﷺ) منهم الانصـراف الى رحالهم، وقد سـمعوا الشـيطان يصـرخ منذراً قريشاً، فقال العباس بن عبادة بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلنَّ على أهل منى غداً بأسافنا.

فقال رسول الله (ﷺ): لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا الى رحالكم".

فرجعوا الى رحالهم، وفي الصـباح جاءهم جمع من كبار قريش، يسـألونهم عما بلغهم من بيعتهم للنبي ودعوتهم له للهجرة، فحلف المشركون من الخزرج والأوس بأنهم لم يفعلوا والمسلمون ينظرون الى بعضهم!

وهكذا مرت البيعة بسلام وعاد الأنصار الى المدينة.

ينتظرون هجرة النبي (ﷺ) اليهم بتلهف كبير.